

الفقارة والمجتمع بإقليم توات (قراءة سوسيو ثقافية في الأهمية والأدوار)
Al-Faqara and Society in the Province of Touat
(a Socio-Cultural Reading in Importance and Roles)

بن عثمان أم الخير

جامعة احمد درايعية ادرار (الجزائر)، khira013333@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2023/02/06 تاريخ القبول: 2023/09/25 تاريخ النشر: 2023/09/30

ملخص

قامت التجمعات السكانية في الصحراء الجزائرية حول مصادر المياه الجوفية إذ يعد نظام السقي بالفقارات المصدر الأساسي لمختلف الأنشطة بها، فالدراسات التاريخية تؤكد على تواجده لأكثر من عشرة قرون بمناطق قورارة، توات وتيديكلت.

وقد شكل هذا النظام عامل استقرار لمختلف القوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء نحو بلاد السودان، فتشكلت بذلك تجمعات وتنظيمات اجتماعية (حواضر) عرفت استقرار اجتماعي واقتصادي حول مصادر المياه.

فشهد إقليم توات ازدهارا علميا وثقافيا له امتداد مغاربيا وإفريقيا.

في هذه الورقة البحثية تركز دراستنا الوصفية على إبراز أهمية الفقارة في مجتمع توات ودورها في توطين السكان بمئات المناطق وازدهار حضارتهم، مبرزين كيف ساهم نظامها في أهم جوانب الحياة بمجتمع توات حتى أصبحت رمزا من رموزه.

كلمات مفتاحية: الفقارة؛ إقليم توات؛ نظام السقي؛ المجتمع؛ واحات توات.

Abstract:

Population communities in the Algerian desert were installed around groundwater sources and the irrigation system in the Faqarat is considered as the main source of various activities. Historical studies confirm its presence for more than ten centuries in the areas of Ghourara, Touat and Tidiklet.

This system was a stabilizing factor for the various commercial caravans that were roaming the desert towards the country of Sudan, thus forming social gatherings and organizations (Urban) that knew social and economic stability around the water sources. This is why the metropolises in the province of Touat witnessed scientific and cultural prosperity that extended to the Maghreb and Africa.

In this research paper, our descriptive study focuses on highlighting the of the Al-Faqara in the Tawat community and its role in settling the population in these areas and the prosperity of their civilization. Highlighting how its system contributed to the most important aspects of life in the Touat community until it became one of its symbols.

Keywords: Al-Faqara; Touat province; irrigation system; Society; tawat oases.

مقدمة:

تتميز أقاليم القسم الغربي الجزائري بمنظومة سقي قديمة العهد تعرف بـ "الفقارة" كوسيلة تقليدية للتحكم في المياه، فمن خلال هذا المنظومة الذكية نجح سكان هذه الأقاليم من مجابهة التحديات في الصحراء بابتكار هذه الأساليب التقنية لجلب المياه وتقاسمها بين السكان، مما ساعد على تأسيس الواحات وإقامة التجمعات السكانية في المناطق الصحراوية وازدهار العديد من الحضارات بها.

تتبوأ منظومة الفقارات منزلة كبيرة في حياة سكان إقليم توات فهي إحدى أهم المراكز التي قامت عليها حياة الإنسان الواحي في هذا الإقليم ومع مرور الأيام حازت هذه المنظومة على أهمية اجتماعية، اقتصادية وحضارية، فحق لها أن توصف بأنها محور النظام الواحي لإقليم توات بمقاطعته الثلاث (توات تيميمون وتديكلت).

في هذا السياق نحاول في هذه الدراسة إبراز دور وأهمية الفقارات في إقليم توات وكيف ساهمت أنظمتها في أهم جوانب الحياة بمنطقة توات.

أولاً: التعريف بنظام السقي بالفقارة في إقليم توات

يعرف نظام السقي التقليدي بمنطقة توات باسم "الفقارة" وهو نظام فريد من نوعه في واحات الجنوب الغربي الجزائري ابتكره الإنسان في هذه الواحات أثناء رحلة بحثه عن الماء في الصحراء، ومن ثم لازم حياته الواحية في ازدهارها وتطورها فإبان هذا النظام عن عبقرية وابتكار أفراد هذه المجتمعات وقدرتهم على التكيف مع صعوبات الطبيعة القاسية.

1/تعريف نظام الفقارة

● لغة: لقد اختلف في أصل تسمية الفقارة فهناك من يرجعه أصل القاف الجيم ومنه الفقارة أصلها الفُجَّارة جمع فجارات وهي من التفجر " فَجَّرَ يفجر تفجيرا" جعل الشيء يتفجر، الماء شق له طريقا. ومنه قوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ (سورة الانسان، الآية 06) وان من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار" وقوله ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾. (سورة البقرة، الآية 60)

وفجرت الماء أخرجه من العيون. (حوتية، 2007، صفحة 84) أي الماء تفجر من الآبار وسال على السطح. (جعفري، 2010، صفحة 140)

وقد ورد في كتاب ابن منظور ما يشير إلى لفظ الفقارة في فعل "فَقَّرَ" معنى "فقرت البئر" إذا حفرت لاستخراج مائها وهنا بنفس المعنى الذي يحمله اسم الفقارة. والفقير هي الآبار المجتمعة الثلاث فما زادت، إلى أن يقول هي آبار تحفر وينفذ بضعها إلى بعض وجمعه فُقِّرَ. (ابن منظور، د ت، صفحة 60) وهنا نجد دقة الشبه بين المعنيين بل تلاقيهما إلى أبعد الحدود وهو ما يعطي لهذه الرواية وجها متقدما من الصواب وفقر الماحل هو شق تطيين حوافها لجمع الماء. (بعثمان، 2013، صفحة 145)

وإذا عدنا للمصطلح على ألسنة أهله (التواتيون) فالفقارة تنطق فقارة (بنقطة فوق القاف) وهو الاسم الذي ينطق به اللسان المحلي للدلالة على هذا النظام مفردا فقارة وجمعها فقائير وبهذا يتضح أن كلمة فقارة ما هي إلا نطق تحول مع مرور الزمن عن أصله العربي وتدرج للفظه العامي. (حوتية، 2007، صفحة 84)

● اصطلاحاً: عرفها الشيخ سيدي محمد عمر بن محمد البداوي في مخطوط "نقل الرواة عن من ابتدع قصر توات" الفقارة بأنها آبار متعددة يفقر من جنب كل واحد منها إلى الآخر فيبرز ماؤه. (البداوي، د ت)

والفقارة هي تنالي الآبار بين كل بئر وآخر، مثل درجات السلم نفق يبدأ العمل فيها من مكان عال ولا يزال ينحدر من أعلى إلى أسفل (بعثمان، 2013، صفحة 145)

أنها وسيلة لاستخراج المياه الجوفية عن طريق شبكة من الآبار متصلة ببعضها البعض بواسطة أنفاق أرضية يسمى كل واحد منها بـ "أنفاد" أو النفاد في الدارحة المحلية، وتنساب الآبار من

المناطق المرتفعة في اتجاه المنحدر الأرضي حتى تصل إلى سطح الأرض مستفيد في ذلك من قانون الميل. (موساوي، 2007، صفحة 13)

الفقارة هي نفق ضيق وشكل ثقب في الأرض يربط سلسلة من الآبار يجمع هذا الثقب المياه من ينابيع تقع في مستويات مختلفة حسب تضاريس الأرض. (حوتية، 2007، صفحة 85)

وفي موسوعة أطلس المستعمرات الفرنسية **Atlas des colonies françaises** تعريف موجز للفقارة مؤداه أنها مفرد "feggaguir" وهي سلسلة من الآبار المحفورة على منحدر، تربطها قنوات تحت الأرض، تجلب المياه المتدفقة من الآبار العلوية أو من البئر الأم". تتغذى مياه "الفقارات" أو "الفقاير" من المخزون المائي الجوفي الضخم المتكوّن عبر قرون، وأيضاً من مياه الأودية الثلاثة، التي تتقاطع في واحات وسبخات توات. (بوسعيد، 2022) (ينظر الصورة رقم 01)

2/ التطور التاريخي لنظام الفقارة

لم تعرف المنطقة نظاما للري واسع الاستعمال قبل نظام الفقارة الذي يكون قد استغرق زمنا معتبرا ليتبلور في الصورة التي عرف بها منذ القرن السادس عشر. ويمكن تلخيص أهم المراحل التاريخية التي مر بها نظام الفقارة في: (دحمان و قصاب، الصفحات 6-11)

1.2 عهد ما قبل الاحتلال

بعض الدراسات تشير إلى أن قبائل الزناتة تكون قد تمكنت أن تستقر بالمنطقة من خلال التحكم في صناعة الفقارة التي وفرت موردا قارا للمياه. لذلك تكون الفقارة قد استصحبست استقرار قبائل الزناتة الذين عرفتهم المنطقة منذ التاريخ القديم. يمكن اعتبار الفترة الممتدة منذ نهاية القرن الخامس عشر كفترة تمثل استكمال عناصر منظومة الفقارة في جوانبها المختلفة بالشكل الذي صارت معروفة به. وقد عرفت حقبة ما قبل الاحتلال عدم استقرار حالات عدم أمان بسبب الغزو الذي كانت تقوم به بعض قبائل البدو عندما يخفق البدو في اختراق الأسوار يعمدون إلى قطع النخيل أو هدم بعض آبار الفقارة المنتشرة في المنطقة غير المسكونة.

2.2 عهد الاحتلال

في هذه المرحلة كان من أولى الاهتمامات جمع المعطيات المتعلقة بالماء، فأجرت إدارة الاحتلال جردا لمياه الفقاير وفرضت ضريبة على الواحات الصحراوية تسمى "اللزمة" كانت تقدر

بصورة جزافية بمعيار عدد النخيل ردا لمياه الفقاقير. بعد تمكنها من المنطقة عمدت إدارة الاحتلال إلى تخصيص ميزانية لتحسين منسوب مياه الفقاقير كانت تقدر جزافيا حسب عدد النخيل. كما حاولت ألا تتدخل في نط تنظيم الأهالي للفقاقير سواء في التقسيم أو الإدارة أو القضاء الشرعي. ولما اعتمدت التشريعات الخاصة بالمياه التي جعلت المسطحات المائية والطبقات الجوفية ملكية عامة للدولة، لم تطبق تلك الأحكام على الجنوب، واستمر احترام الحقوق المكتسبة للأهالي في استغلال المياه الجوفية

3.2 عهد الاستقلال شهدت الفقارة طلبا غير عادي للماء لمشروع عمومي كبير. بحيث شهدت سنوات 1964/1965 ورشات إنجاز الطريق الوطني رقم 51 بين أدرار والمنيعة المار بمدينة تميمون. فكانت الفقارت مصدرا لمياه هذه الورشات.

بداية السبعينيات شهدت انطلاق برنامج الثورة الزراعية في كامل البلاد تقريبا فغيرت في موازين الاقتصاد في الواحات الصحراوية أهم هذه التغييرات: (دحمان و قصاب، صفحة 08)

- مصادرة حق الملاك الزراعيين الذين لا يساهمون فعليا في الإنتاج.
- تقييد الملكية بمحدود طاقة المالك وعائلته.
- إلغاء كل أشكال التجارة المتعلقة بمياه السقي.
- استنفادات الحدائق المصادرة من إعادة بناء الأحواض بالإسمنت.
- منح الحدائق المصادرة للعاملين من غير الملاك.

إن حالات مصادرة لأراضي مع أقساط مياهها التي شهدت المنطقة بتحويلها لفائدة بعض قدامى العاملين في نفس تلك الأراضي، ساهمت في توقف أشغال الصيانة في بعض الفقاقير وفي تدهور العلاقة بين المستفيدين والملاك .

ورغم تراجع الحكومة عن سياسة الثورة الزراعية في منتصف الثمانينيات، إلا أن آثار الاحتلال طالت بعضا من عناصر الفقارة، منها صعوبة إعادة توثيق أسهم المياه في الزمام بحيث توقفت الكتابة الشرعية في قيد زمام الفقارة سنة 1959 وبقيت متغيرات ملكية المياه لفترة الستينات في وريقات لم تنقل في قيد جديد. كما تدهورت الفقاقير بصورة زادت في صعوبة تنظيم عمليات الصيانة الدورية، مما جعل الحاجة للمساعدة العمومية تتكسر كشرط ضروري لاستمرار الفقارة.

4.2 مرحلة استعمال الآبار العميقة

في سنة 1976 تم إنجاز أول بئر عميقة بتيميمون بغرض توفير مياه الشرب ولعل اللجوء إلى الآبار العميقة يُعزى لسكانة جديدة ذات طابع حضري لا علاقة لها بالفقارة. مع ذلك استمرت بعض المساعدات من البلدية للفقاقير، لاسيما بتسديد أجور عمال الصيانة، استفادت بعض الفقاقير من حفر بئر مجهزة بمضخة كهربائية تضخ قدرا إضافيا من الماء لدعم منسوب الفقارة وتواصلت المساعدات العمومية للفقاقير من خلال ميزانية خاصة ضمن المخططات المختلفة. كانت الأموال توضع تحت تصرف البلديات التي توزعها على الفقاقير على شكل أجور

5.2 مرحلة برامج إعادة الإحياء

شهدت مرحلة الثمانينيات سن قانون حيازة الملكية الفلاحية لسنة 1983 في الأراضي التابعة للملكية العامة عن طريق الاستصلاح في المناطق الصحراوية سمح هذا القانون بإنشاء مستثمرات فلاحية تُسقى بمياه آبار جديدة حفرت خصيصا لذلك، فتم تهيئة هذه الاستثمارات قريبا من أنفاق الفقاقير مما أثر على منسوب المياه فيها.

فإذا كان تأثير قانون الثورة الزراعية على نظام الفقارة في نمط إنتاجها وتسويقها، فتأثير قانون 1983 كان أكبر، بحيث أنشأ لأول مرة في تاريخ المنطقة فلاحية موازية بنظام ري عصري مستقل عن الفقارة، لكنه متواجد قريبا منها هذا شكل تهديدا للفقارة ومنسوب مياهها حيث تراجع منسوب المياه شيئا فشيئا وبعضها حدث بها انهيار بالنفق

أمام استمرار التعمير الذي بدأ يطال نفق الفقارة منذ بداية الثمانينات، وتوقف الصيانة، وتعطل مشروع إعادة الإحياء، ظهرت مشاكل أخرى تمثلت في انهيار أجزاء أخرى من النفق وسد بعض المواطنين لبعض الآبار خوفا من تأثيرها على بنائاتهم التي شيدت في حريم الفقارة، بالإضافة لتراجع احترام الفقارة ورمي القاذورات في الآبار.

تعلت الأصوات من جمعيات الفقاقير، ومن المجتمع أيضا، داعية إلى ضرورة حماية الفقارة كتراث يرمز لتاريخ المنطقة ويحمي خصوصيتها. (دحمان و قصاب، صفحة 25)

3/ طرق عمل نظام الفقارة

وصف ابن خلدون طرق عملها في كتابه ديوان المبتدأ والخبر متعجبا مما لاحظته من تفاصيل إنشاء الفقارات وجريان مائها قائلا "وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق، غريبة في

استنباط المياه الجارية لا توجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى، وتطوى جوانبها إلى أن يصل بالحفر إلى حجارة صلبة فتحت بالمعاول والفؤوس إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعداً فيعم البئر ثم يجري على وجه الأرض واديا" (ابن خلدون، 1959، صفحة 118)

يعد الانحدار العامل المحدد لعمل الفقارة، حيث إن القنوات أو النفادات تكون على أعماق كبيرة في بداية الفقارة. ثم تتناقص الأعماق إلى أن تبرز القنوات فوق الأرض. ويتحكم الانحدار في اتجاه الفقارة، فكل فقارات منطقة توات تنحدر من سفح هضبة تدميت نحو منخفض توات. أي من الشرق نحو الغرب موقع القصور بالنسبة للهضبة، وتتأثر الفقارة بالميل على أن يكون ميلا صغيرا حتى لا يؤدي إلى ترسب بقايا الطين والأتربة، كما أن شكل القناة يؤثر في عمل الفقارة فضيقها يسهم في ارتفاع سرعة تدفق المياه. (بعثمان، 2013، صفحة 146) (ينظر الصورة رقم 02)

ويشير الباحث **مولاي عبد الله سماعيل** في دراساته حول الفقارة إلى أنها تأخذ شكل منحدر باتجاه الواحات، وعند اقتراب المياه تمر بآبار قريبة من السطح تدعى "أغوسرو" ومنها يتدفق الماء ليصل إلى **القصري**، وعلى حافته توجد العيون وهي الوحدات المستعملة لصرف المياه من القصري باتجاه البساتين، بعدما يحدد نصيب كل عين بدقة متناهية من طرف "الكيل" وهو الخير بأسرار وحسابات مياه الفقارة، وبعد الانتهاء من توزيع حصص المياه تحفظ الحسابات في الزمام، وهو السجل الخاص بتقييد عمليات التوزيع والكيل. (العرب، 2017) (ينظر الصورة رقم 03).

ثانيا: نظام الفقارة بإقليم توات دعامة سوسيو اقتصادية

يعتبر الماء في الواحة رمز الحياة وامتلاكه محدد لمتوقع في النسيج الاجتماعي السوسيو اقتصادي تدور حوله جل أنماط التنظيمات الاجتماعية باعتباره رمز الحياة الاجتماعية والثقافية والزراعية بواحة الصحراء.

1/ نظام الفقارة عامل استقرار للإنسان في المجتمع التواتي

يعد نظام الفقارة بتنظيمه المحكم مؤسسة اقتصادية ذات خصائص اجتماعية مميزة فهي بمثابة البورصة وذلك من خلال أسهم ملاكها ومساهميها وشركائها وقد ساهمت الفقارة منذ ابتكارها

مساهمة كبيرة في تشكيل أغلب قصور هذا الإقليم الشاسع، وقد ساعدت كذلك في استقرار سكان إقليم توات بمناطقه الثلاث. (سافني، 2017، صفحة 180)

إذ استطاع السكان تنظيم حياتهم وتحقيق العدل والمساواة بينهم باستقرارهم في مجال جغرافي شديد الجذب واختراع أو نقل لنظام متكامل حول المياه، يبدأ باكتشاف منابع المياه وينتهي باستغلالها في الحياة شربا وريا للمحاصيل الزراعية. (موساوي، 2007، صفحة 07)

فبالنظر إلى الظروف الطبيعية القاسية التي تعرفها الصحراء عامة لم يكن باستطاعة ومقدور الإنسان العيش لولا وجود الماء بوفرة مغربة فالإنسان الواحي قد اهتدى إلى فكرة الفقرات تقليدا لبعض المناطق المشابهة عن طريق التجار والقوافل الذاهبة والآية إلى المنطقة أو حاجة وضرة فرضتها ظروف الحياة الصعبة والحاجة أم الاختراع كما يقال (جعفري، 2010، صفحة 140). ويؤكد أحمد جعفري إن من الأدوار الاجتماعية للفقرات أنها أهم عامل استقرار في الصحراء الكبرى حيث كان الصحراويون يفكرون في امتلاك حصصهم من الماء قبل الحصول على ملكيتهم من الأرض.

لأن توفر المياه واستثمارها لفائدة الزراعة والشرب في منطقة ادرار كما هو الحال في كامل الصحراء يشكلا عاملا مهما لاستقرار السكان المحليين فيها، وهذا سمح بقيام ثورة زراعية في مناطق غير ملائمة طبيعيا لحياة الإنسان باعتماد الطرق التقليدية في الري. وبهذا يعتبر نظام الري التقليدي هو مصدر الحياة بالمنطقة وان حمايته وترقيته تدخل ضمن حماية التراث الثقافي وحماية الثروة الطبيعية وضمان استقرار السكان. (موساوي، 2007، صفحة 11)

إذا فنظام الفقرات ليس وسيلة للسقي فحسب بل مكسب محلي ميز إقليم توات واحد العوامل المشكلة والمحددة لهوية المجتمع التواتي وأي خلل بهذا النظام يؤدي إلى خلل في توازن المجتمع.

2/ نظام الفقرات والفضاء الاجتماعي التواتي

لقد أدى اهتمام المجتمع بالفقرات إلى نشوء عالم خاص بها يحكمه مجموعة من الأفراد وكم هائل من الرموز والمصطلحات والوسائل الخاصة بالفقرات دون سواها. فقد انطبعت الفقرات بالهيكلية الاجتماعية القائمة على طبقات الأشراف والمرابطين والأهالي والحراثين والعبيد بحيث يتوزعون على أنواع الأعمال والأنشطة الخاصة بالفقرات. (دحمان و قصاب، صفحة 17) فنجد

عملية الحفر والصيانة الخاصة بالفقارة تأخذ من المجتمع أفرادا مخصوصين ومميزين كل باسمه وعمله. وهم على التوالي: (جعفري، 2010، صفحة 144)

● **الوقاف:** وهو المكلف المباشر عن العمل وجاءت تسميته من وقوفه المستمر على العمال.

● **القطاع:** الذي يحفر ويقطع الصلب من الحجارة أثناء عملية الحفر.

● **الجباد:** الذي يتولى عملية جذب التراب من العامل الأول.

● **الزمام:** الذي يقوم بكتابة وتدوين زمام الفقارة.

● **كيال الماء:** وهو الشخص الذي يقوم بوظيفة كيل الماء ويتقن استعمال آلة الكيل (الحلاقة)

(حوتية، 2007، صفحة 500)

يمكن تقسيم العلاقات الاجتماعية في ظل المجتمعات التي يتركز على نشاطها على الفقارة إلى مالك للماء في الفقارة، وغير مالك ومستعمل، وبذلك فهي علاقة ثلاثية التعامل والاستفادة في شؤون متطلبات الحياة، (موساوي، 2007، صفحة 78) ورغم هذا التمايز الذي يظهر في التركيبة الاجتماعية لمجتمع الفقارة إلا أن هناك التفاف السكان حول الفقارة باعتبارها القاسم المشترك الذي يجد فيه كل واحد مصلحته وهذا جعل منهم كتلة واحدة في مجتمع صغير يتعايش في تكامل واستقرار نفسي واقتصادي ومن هنا نجد للفقارة دورا في تحديد مكانة الفرد في الجماعة التي ينتمي لها (شماخي، 2018، صفحة 951) وتبرز موقعه في السلم الهرمي لهذا المجتمع الواحي.

كذلك تتجلى اجتماعية نظام الفقارة في الأعمال التطوعية (التبوية) المعروفة عند أهل المنطقة، وهي عبارة عن عمل ونشاط تطوعي جماعي لخدمة الفقارة. وباعتبارها الأساس الأول لبنائها ولها دور هام صارت في العرف عمل إجباري على من يستطيع وواجب على من يمكنه توفير الأدوات.

(بالحاج، 2011، صفحة 34)

وعليه نجد جليا التضامن الاجتماعي المتمظهر في النشاطات التي تقام لحماية الفقارة والتي تعكس العمل الجماعي التطوعي وصفة من الصفات الحميدة التي يمارسها سكان الواحات في الإقليم والتي تعكس المعايير الاجتماعية لذلك الترابط الاجتماعي الذي يكمن فيه التضامن والتآخي والتواد وترقية الروابط الاجتماعية والعمل التشاركي (بربريس و حرسوس، 2019-23، -04، صفحة 05) الذي يحصل بين أفراد المجتمع مما أسهم في ربط أواصر الأخوة والتفاهم والتعاون أكثر فأكثر بين مختلف فئات المجتمع ، لان الفقارة تعتبر "أم" لإفراد المجتمع التواتي ورمزا يمنع

المساس به أو التقليل من أهميته. وسقوطها يضر المجتمع ككل وزيادة منسوب مياهها يعود إيجابا على الكل ويزيد الرفاه الاقتصادي في المجتمع الواحي. (بن خالد، 2022)

3/ نظام الفقارة مورد اقتصادي

تعد الفقارة أول مؤسسة اقتصادية ذات أسهم عرفها سكان الواحات فهي عبارة عن بورصة بالمصطلح الحديث أي تخضع لمجموعة من الملاك المستفيدين، إذ تقسيم الماء فيها يكون بطريقة علمية دقيقة تحدد كمية المنسوب وحصص كل مستفيد. (موساوي، 2007، صفحة 13) يحترم فيها مبدأ العدل والمساواة في توزيع الثروة المائية. حيث يتم توزيعها توزيعا عادلا بين الملاك دون إهمال الفقراء ومنعهم من الانتفاع من مياه الفقرات في السقي والغسل. (حوتية، 2007، صفحة 101) وللفقارة أهمية اقتصادية في المجتمع الواحي: (ساقني، 2017، صفحة 182)

- ✓ مورد اقتصادي مجاني يعمل على توفير الماء الشروب الدائم لسكان القصر في الواحات.
- ✓ ساهم نظام الفقارة في القضاء على البطالة وذلك بتوفير فرص العمل من خلال أعمال الصيانة وشق الفقرات الجديدة.

✓ نظام الفقارة يخلق فرص استثمار لأصحاب رؤوس الأموال. فمن السمات الاقتصادية لنظام الفقارة، الظهور المبكر نسبيا لمؤسسة تسيير الفقارة على نمط الشركة ذات الأسهم، بحيث يساهم الملاك في الماء وفي جهود الصيانة. وهو نمط يتيح التوسع باستقطاب استثمارات جديدة على أساس الشراكة وتقاسم الفائض من المياه. كان لهذا النظام أثرا فعالا في جلب المستثمرين حتى من خارج الواحة حينما دخل بعض الوافدين من وادي مزاب وقبائل الشعابنة منذ أواسط القرن العشرين حسب ما يشير به زمام الفقارة. فاستطاع هذا النمط التساهمي ضمان دوام السعي للحفاظ على الفقارة وتوسعتها. (دحمان و قصاب، صفحة 16)

✓ ساهمت الفقارة في تحقيق اكتفاء ذاتي لسكان الواحات وذلك من خلال انتعاش الزراعة وتنوع الغلال خاصة التمور والحبوب التي كانت تصدر خارج حدود الإقليم خاصة نحو بلاد السودان عبر حركة القوافل التجارية العابرة للصحراء. إذ يقول ابن خلدون في هذا الصدد: «وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكوارين...» (ابن خلدون، 1959، صفحة 118) فقد اعتُبر إقليم توات نقطة تقاطع هامة تربط جغرافيا بين مناطق العمق الإفريقي جنوبا، وشمالا باتجاه المنطقة

المغربية. وقد شكل عبر التاريخ نقطة عبور القوافل التجارية القادمة من إفريقيا البيضاء نحو إفريقيا السوداء.

✓ عند ذكر الفقارة يستلزم ذكر النخلة ملكة الواحات والتي تعد مصدر رزق لسكانها. (موساوي، 2007، صفحة 97)

✓ الفقارة مصدرا للمياه الضرورية للبناء فالعرف يسمح بإعطاء الماء من الفقارة لأشغال البناء بما فيها الورشات العمومية (دحمان و قصاب، صفحة 08)

يمكن القول أن نظام الفقارة، بما يوفره من موارد سقي دائمة وتغطية مستلزمات العيش المستقر، هو الذي أتاح التحول الكبير من البداوة المتنقلة إلى المزارعة والاستقرار. فأرست الفقارة نمطا اقتصاديا يجمع بين النشاط الفلاحي-الحرفي والنشاط التجاري من خلال رحلة القوافل بين السودان في الجنوب وبلدان الساحل في الشمال.

من هنا نجد الاقتصاد الواحي في منطقة توات يقوم أساسا على الزراعة المسقية. كما انطبع الإنتاج الفلاحي بنمط السقي بتوزيع الماء خلال السنة وفق واجب الحاجة بين النخيل والحبوب والبقول. فالخضار كانت في متناول الجميع لدرجة أنها كانت لا تباع في السوق. ويفتخر سكان الواحات التواتية أنه رغم شظف العيش والتقصيف الدائم لم تكن تعرف المنطقة المتسولين كدلالة على صحة النمط الاقتصادي المحلي الذي دام قرونا.

وعليه يمثل الماء الشغل الشاغل لسكان منطقة توات ومن ثمة اكتسبت الفقارة أهمية بالغة لديهم على اعتبار مالها من دور زراعي وبالتالي ما للفلاحة من أهمية لدى سكان القرية بالمنطقة وما التلازم الذي بينهما إلا نتاج هذه العلاقة، إذ الواحة التواتية تستلزم وجود فلاحة، وهذه الأخيرة تستلزم وجود فقارة، فالنمو الاقتصادي بمئات المناطق يتوقف على عامل توفر المياه من عدمه حيث ارتبط إقليم توات منذ فجر التاريخ بالطابع الصحراوي الخاص.

ثالثا: نظام الفقارة بإقليم توات ارث ثقافي وحضاري

منظومة الفقارة بمجتمع الواحات ليست وسيلة للسقي وفقط بل إحدى العوامل المشكلة والمحددة لهوية المجتمع التواتي، فهي تحمل إرثاً حضاريا ومعلماً ثقافياً شاهداً على عبقرية الساكنة بمئات المناطق، وتعتبر اليوم عن ما بلغه سكان قصور الواحات وما تركوا من إنجازات شاهدة على

عقبريتهم وتميزهم. فقد شكلت مع القصور والنخيل أساسا لحضارة القصور أو النظام الواحي في إقليم توات.

1/الفقارة والموروث شعبي: من خلال الفقارة يمكننا فهم ثقافة المجتمع التواتي باعتبارها جزء من مكونات المجال الثقافي الأوسع لهذا المجتمع فهي تعبر طرق عيش وتكيف الإنسان الواحي بهذه المناطق باعتبارها نظام يتجاوز الزمن من خلال العملية التواصلية بين الأجيال. (شماخي، 2018، صفحة 951) إذ أسهمت الفقارة في الحفاظ على التراث الثقافي الشفاهي اللامادي وذلك بإحياء العديد من الفنون الإيقاعية الغنائية (ساقني، 2017، صفحة 183) والتي تصاحب عادة أشغال الفقارة متمثلة في أذكار وأهازيج تضبط إيقاع الحركات الجماعية للعاملين تستعمل فيها اللغة العربية والزنااتية على حد سواء، (دحمان و قصاب، صفحة 22) فجدد بعض الأذكار وضعت خصيصا للفقارة لرفع همة العاملين وتحفيزهم. (ينظر الصورة رقم 04).

من هنا نجد نظام الفقرات يتيح للسكان في الواحات فرصة لظهور مناسبات التعبير عن أنفسهم وإظهار تضامنهم من خلال مجموعة من الطقوس والعادات المرتبطة بالفقارة كالأشكال التعبيرية المصاحبة لعملية التوزيع أبرزها الفلكلور والأهازيج والمدائح قبل وأثناء وبعد الانتهاء من حفر الآبار، تمنح الجماعة روح النشاط والتعاون وتبعث في النفوس روح الإحساس بالتضامن. (شماخي، 2018، صفحة 951).

هذا إضافة إلى حضور الأطعمة والوجبات التقليدية التي يكون غالبا العمل في الفقارة مناسبة لاحتياها. لان الفقارة ارتبطت بحياة المجتمع الواحي في إقليم توات وهي متواجدة في معظم العادات والتقاليد المعروفة كالزواج والختان وغيرها من طقوس العبور بالمجتمع التواتي.

2/الفقارة والموروث الأدبي والثقافي: كما أن نظام الفقارة استلهم بعض الكتاب الذين كتبوا عنه على غرار كتابات ضباط الاحتلال التي تشير كلها إلى هذا النظام العجيب من حيث طريقة جلبه للماء وطريقة توزيعه. وقد استلهم الكاتبة الفرنسية إيزابل إيرهارت (Eb.erhardt) 1920 لكتابة قصة عاطفية بين جندي فرنسي وفتاة محلية كان يرمقها لما تأتي لتغرف الماء من ساقية الفقارة، فعنونت القصة ب"الفقارة". ويفخر الأهالي بأن الفقارة ترمز لتاريخهم وهويتهم يعتبرونها هي حياتهم وشخصيتهم، وهي التي حفظتهم من نواب الدهر لقرون، وكانت دوما

بلطف هوائها ملاذا من حر الصيف، ووفرت المخبأ الآمن للمجاهدين من عيون وأسلحة الجيش الفرنسي إبان حرب التحرير. ويزخر المجتمع التواتي بالعديد من الأمثال والحكم التي اقتبس تصويرها من الماء. كالمثل القائل: "مثل القيراط يُكتب في القسمة ولا يُرى بالعين" أي أن القيراط الذي يكتب في القسمة لا يكاد ماؤه يظهر للعيان لقلته. (دحمان و قصاب، صفحة 21)

ومن خلال أنشطة الفقارة تأسست جمعيات مستمدة من نظامها للتعريف بهذا التراث الحضاري القديم للأجيال المتعاقبة وإعطاء صورة جيدة وحديثة كونها منبع حياة واحات الصحراء منها جمعية الفقارة بقصر ملوكة. وبهذا نجد ترسيخ مفهوم الإبداع الاجتماعي للفرد التواتي حيث يختار الأفراد الأبعاد والنواحي التي تزيد من إيجابية جماعتهم لتكون أساسا للمقارنة بينها وبين الجماعات الأخرى. بل أكثر من ذلك يعمل نظام الفقارة على إشباع حاجات أفرادها الوجدانية بينه وبين ما يحيط به من مواد ثقافية مادية وغير مادية تلقونها منذ نعومة أظافرهم، (شماخي، 2018، صفحة 951) إذ تعمل مؤسسات التنشئة الاجتماعية على استمرار هذه العلاقة بينهم وبين هذا الموروث الثقافي والحضاري الذي يساهم في تشكيل الهوية بأبعادها المختلفة الثقافية والمهنية كممارسة سوسيوقافية من خلال مجموعة الأدوار التي يؤديها في البناء الاجتماعي والمحددة ثقافيا مما يضمن استقرار وتماسك المجتمع والحفاظ على قيمه ومعايير.

3/الفقارة والموروث المادي(الصناعة التقليدية)

لقد استغل سكان الواحات المواد الأولية المحلية في عدة صناعات فبتكروا ما يحتاجونه في حياتهم اليومية من وسائل تقليدية تركوا فيها بصمتهم. وفي المجتمع التواتي نجد العديد من الحرف والصناعات ارتبط وجودها بأنظمة الفقارة حيث سمحت هذه الأخيرة بظهور مجموعة من الحرف الخاصة بها كصناعة الحبال والقفاف، وصناعة الأمشاط والسواقي من الحجارة، وحرفة الحدادة التي توفر صنع وصيانة الأدوات المعدنية كالقؤوس والمناكير والمطارق والمخاريف. كما ظهرت حرف أخرى كصناعة الغرارة والديبش والبكرات والمعاول وكل الأدوات التي تساعد في أعمال الفقارات وتستخدم في الزراعة والحراث. (ينظر الصورة رقم 05).

فمن خلال هذه الصناعات وما أتاحته الفقارة من موارد مائية تمكن الإنسان الواحي من تطوير أحواله ومجتمعه بتوظيف قدراته الفكرية والمعرفية لإيجاد الحلول الذاتية في إنتاج حيث استثمرت الموارد المتاحة في بيئته الصحراوية وحولها إلى منتجات ذات قيمة اقتصادية. فطوع المواد

الأولية)النخيل ومشتقاته.الطين بأنواعه...) وجعل منها مواد خام يستخدمه للإنتاج منتجات متعددة يحقق بها اكتفائه الذاتي فأتقن صناعة السلال التي تعتمد في موادها الأولية على مشتقات النخيل، نظرا لوجود أشجار النخيل بكثرة في المنطقة والمسقية بمياه الفقارة فصنع القبعات، القفف والحصائر وأواني الحفظ والأطباق بأشكال وأحجام وألوان مختلفة.

وقد استطاع تسويق بعض المنتجات الحرفية المحلية إلى الحواضر المجاورة التي تنتهي عندها القوافل التجارية كتمبكتو وقاو بالأزواد فتتم عملية التبادل التجاري إما بالمقايضة أو بالعملة ويستعمل المزود والغرارة في الكيل. (حتوية، 2007، صفحة 134)

وبهذا تمكن الفرد بالواحاحات التواتية من التعبير عن هويته الاجتماعية والثقافية من خلال الصناعة التقليدية والتي تدخل ضمن التراث المادي للمجتمعات وتمثل الإبداع لأفرادها وتعبّر عن هويتهم الثقافية وامتدادهم الحضاري عبر مختلف العصور، وهذا بما تحمله من معتقدات وأخلاق وقيم إنسانية، فهي وعاء يعكس انتمائها الحضاري وعادات وتقاليد أفراد مجتمعاتها. لهذا يعد المحافظة عليها حفاظا على تاريخ موروث الأمة وحضارتها الضاربة في التاريخ.

رابعا: الفقارة بإقليم توات مخزون علمي ومقصد سياحي

تعتبر منطقة توات انطلاقا من موقعها الاستراتيجي نقطة تقاطع هامة تربط جغرافيا بين مناطق العمق الإفريقي جنوبا، وشمالا باتجاه المنطقة المغاربية. وقد شكل إقليم توات عبر التاريخ نقطة عبور القوافل التجارية القادمة من إفريقيا البيضاء نحو إفريقيا السوداء، مما جعل المنطقة غنية بمختلف كنوزها الثقافية وتنوع أقاليمها السياحية وتفردتها بمخزون حضاري وعلمي متجدر في التاريخ.

حيث انتظم المجتمع التواتي في جماعات كان دورها المحافظة على الأمن العام وسير الأراضي وتنظيم البساتين وقضايا الميراث وسير نظام الري وقد اتخذوا لكل نوع من القضايا قانونا عرفيا أو قانونا علميا مثل ما هو مطبق على نظام الفقارة.

1/ نظام كيل الماء: يعد من المبادئ الأساسية ومن المرجعيات التي اعتمدها سكان الواحات في كيل المياه وتوزيع حصص مياه الفقارة على ملاكها وعلى المساهمين فيها. وكيل الماء هي ظاهرة فريدة من نوعها تنفرد بها الأقاليم الثلاثة للمجتمع التواتي. باعتبار الفقارة تحتاج إلى إدارة محكمة

لشؤونها في الحفر والصيانة والتوزيع. وقد صنفت مهنة كيال الماء ضمن التراث المادي لليونسكو سنة 2018 كتراث لامادي إنساني.

ولعملية توزيع الماء عالمها الخاص تاريخاً ومعجماً فعلية توزيع مياه الفقارة على الفلاحين تسمى "الكيلة" والمشرّف عليها هو شخص مختص ونادر في القصر وقد يكون واحداً لأكثر من تجمع سكاني، يسمى بالكيال وهو يضطلع بمهنة كيال الماء حيث يقيس أسهم الماء بدقة كبيرة يضطلع بها شخص واحد لعدة فقاير أو لعدة واحات أحياناً، وآلة قياس الماء و توزيعه هي الشقفة أو الحلافة - صيغة مبالغة من الحلف على العدل والمساواة- وهي في شكلها صفيحة نحاسية مستطيلة أو دائرية ذات ثقب عديدة ومتدرجة من الأصغر إلى الأكبر. أما وحدات القياس فأصلها جميعاً يسمى الحبة وبها يكون قياس ماء الفقارة إجمالاً حيث يقولون في هذه الفقارة 100 حبة أو 200 حبة ماء، (بن خالد، 2022) وهناك من الوحدات أيضاً الماغل وهو أربعة وعشرين قيراط.*

وللفقارة نفسها والساقية والبستان أيضاً عالمهما الخاص من المصطلحات والأسماء. وبهذا شكلت الفقارة لنفسها قاموساً وفضاءاً للتعامل خاصاً بها وحدها. (دحمان و قصاب، صفحة 12)

للفقارة تخصصات مهنية مثل الحفارين والحمالين، والمنادي أو القوال، بالإضافة إلى مسؤول الفقارة يُدعى مقدم الفقارة يختاره الملاكون فيما بينهم. كما أن لكل فقارة خبير، أو خبيران أو أكثر للإلمام الدائم بحالة الفقارة ويرافق الكيّال دائماً الشهود من الملاك، والحساب الذي يحسب ويسجل أقساط الكيل على الأرض في البداية باستعمال لغة حساب محلية مستوحاة من خط التيفناغ. (دحمان و قصاب، صفحة 12) وينقسم توزيع المياه ووسائل الكيل إلى: (بن خالد، 2022)

- توزيع المياه حسب المدة الزمنية وهي نادرة كهنو بتمنيط حسب مدة معينة.
 - توزيع المياه حسب المحاصصة لكل شخص حصته وهي الغالبة في واحة توات.
- أما وسائل الكيل فتتقسم إلى:
- ❖ وسائل مادية تتمثل في:

* القيراط: هو جزء من أربعة وعشرين جزء من الماغل ، وهناك أيضاً قيراط القيراط وهو جزء من أربعة وعشرين من القيراط.

- **القصرية:** وهي حجر صلب يسهل تحته يوضع عليها الكيل ليصرف الماء للمالكين،
- **الزمام:** وهو سجل خاص بمجرد مياه الفقارة وهو كتاب يحفظ فيه جميع العقود منذ نشأة الفقارة.

● **الشقيقة (الحلافة، المسطرة):** وهي لوح نحاسي به ثقب يصرّف قدر معين من الماء كالخبة والقيراط وهي أداة أساسية لكيل الماء. (ينظر الصورة رقم 06).

● **الطين:** مادة مهمة لا يسمح بمرور المياه بحضر بطريقة خاصة

❖ **الوسائل غير مادية** وهي الكفاءات البشرية من العنصر البشري والمعروفة محليا بجماعة الكيل إذ الملاحظ أن أسماء كلها على صيغ المبالغة دلالة على طبيعة العمل المتلاحق في هذا النظام. وهي تتكون من:

وبهذا استطاع الإنسان الواحي بإقليم توات أن يستغل العناصر الطبوغرافية للأرض لابتكار هذا النظام ويستخرجوا المياه بوسائل تقليدية ويجعلوها دائرة الجريان معتمدين في ذلك على المهارات الفنية للمهندس المحلي والأدوات التقليدية والروح الجماعية في استغلال المياه.

2/ الفقارة والنظم القضائية والتشريعية: لقد كان لفضاء الفقارة عالمه التشريعي الخاص المستمد من الشريعة الإسلامية والمتماشي مع ضرورات ومتطلبات نظام الفقارة الخاص فقد سمح تراكم الجهد الفقهي بنشأة فقه اختص بالفقاير يسمى فقه النوازل* بحيث ترد النوازل المتعلقة بالفقارة في شكل أسئلة وأجوبة تضمن غنية المقتصد الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي العديد منها. (حوتية، 2007، صفحة 95)

وخطوا في ذلك عشرات المخطوطات التي تضمنت أمورا وفتاوى خاصة بالفقارة واشتهر من هؤلاء الأعلام تحديدا الشيخ البكري، والشيخ سيدي محمد بن أب والشيخ سيدي عبد الرحمان بن عومر التلاني والشيخ الجنتوري... وغيرهم، ولكل واحد من هؤلاء الأعلام نوازل مخطوطة فيها العديد من المسائل الفقهية المتعلقة بنظام الفقارة وآلية توزيع مياهها بل إن البعض

*النوازل: هو مصطلح فقه يراد به عند الفقهاء مجموعة مدونات من الفتاوى المتعلقة بالمشاكل اليومية وأحكام القضاة فيها. هي تلك الأحكام الاجتهادية المتعلقة بالمعاملات والأحوال الاجتماعية والاقتصادية، هدفها فك النزاع بين الناس وإزالة أسباب الخصومة لبث روح الاستقرار بينهم والحرص على ضمان حقوقهم.

من هؤلاء الأعلام لم يكتف بهذا فقط بل راح يخصص مؤلفا بعينه للنزاع في الأمور المتعلقة بالسقي والزرع وهو الشيخ سيدي محمد بن أب في مخطوطه "تحلية القرطاس في الكلام على مسألة الخماس". (جعفري، 2010، صفحة 144) ونظرا لأهمية هذه المنظومة (الفقارة) فقد ظهر أثرها قويا في الحياة العلمية والتشريعية لا إقليم توات فألف فيها كتب الفقه ودواوين الفتوى وسجلات القضاء، يشهد لذلك فتاوى البلباليين ونوازل الزجلويين وأقضية البكريين، فهي تزخر بمسائل تملكات الفقارة أو أحيائها أو نقل مياهها وتوزيعها أو خدمتها. يقوم على ضبط الأحكام والفتاوى أئمة وقضاة يرجع الناس إليهم في فض المنازعات. (دحمان و قصاب، صفحة 15)

ولقد انتشرت مخطوطات النوازل في الأقاليم المجاورة لإقليم توات منها إقليم الأزواد، إذ لا تخلو منها زوايا إلا وتوجد بها هذه النوازل، حيث تم تداولها بين العلماء والفقهاء في مجالسهم وضمن فتاويهم فأصبحت مرجعا مهما عند المتقدمين والمتأخرين من علما توات والأزواد. (حوتية، 2007، صفحة 324)

3/الفقارة والسياحية: تنفرد بها المنطقة عن باقي الأقاليم والواحات الصحراوية وهي من الموارد غير متجددة وفريدة من نوعها لها قيمتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وتتسم بقيمتها العلمية وطابعها الأثري والتاريخي والمعماري والجمالي. والفقارة نظام سقي عبقرى فريد من نوعه لاستغلال المياه وتحدي قسوة الطبيعة يرجع تاريخه إلى القرن السادس عشر.

وتعد هذه المعالم تحفا هندسية من إبداع الإنسان المحلي وخياله الملهم، حيث تم إحصاء أكثر من 900 فقارة لا تزال 600 منها منتجة لحد الآن، (National Culturel de Le Parc، 2013، Touat-Gourara-Tidikelt) فبالإضافة لكونها قيمة اقتصادية محليا، فهي معلما ثقافيا يلفت اهتمام الزائرين للمنطقة. (ملاس و توتاو، 2018، صفحة 49) فتبهر السياح والزوار الذين يقصدونها من داخل الوطن وخارجه لاكتشافها والشرب من مياهها.

خامسا: الفقارة بإقليم توات نظام بيئي - صحي

بالإضافة إلى الأهمية الاقتصادية والاجتماعية لنظام الفقارة في المجتمع الواحي، نجد أهمية بيئة وصحية للفقارة تتمثل في كونها نظام يتماشى مع النظام البيئي ويمتاز بخصائص إستشفائية.

1/ الفقرات والنظام الأركولوجية

إن التموقع لقصور الواحات يساعد على انتشار تيارات هوائية باردة المحملة من الواحات عن طريق الرياح الغربية مروراً بنفق الفقرات بداية من القسرية الرئيسية حتى خروجه من فوهات الفقرات، أما في حالة الرياح الشرقية تصطدم هذه الأخيرة بالتيارات الباردة التي تتصاعد من وهات جملة أبار الفقائير مقللة بذلك من درجة حرارة الرياح. (شماخي، 2018، صفحة 951) وبهذا نجد ماء الفقرات ساخن شتاء بارد صيفاً.

وحسب الباحث هشام أمحيدة بن زبطة تتمثل خصوصية الفقرات في وظيفتها التي تعد اقتصادية بامتياز حيث لا تتطلب طاقة أو معدات متخصصة في استخراج المياه من الأعماق ونقلها إلى مسافات بعيدة تزيد عن العشرات من الكيلومترات، إضافة إلى إمكانية التزود بالمياه على مدى أربع وعشرين ساعة دون انقطاع (العرب، 2017) كما أن عملية جريان الماء لا تحتاج إلى طاقة فهو نظام يدخل في التنمية المستدامة للمناطق الصحراوية التي تفتقر إلى وسائل الطاقة كالغاز والكهرباء فهي عملية تسيير ذاتية للإنسان الواحي. ورغم طغيان مياه الآبار حديثاً يحرص سكان الواحات التواتية على ماء الفقرات الذي لا ينقطع بانقطاع الكهرباء أو بتوقف المضخة الكهربائية لعطب ما. (دحمان و قصاب، صفحة 22)

2/ الفقرات والنظام الصحي: تعتبر مياه الفقرات لها خاصية إستشفائية إذ تشتهر مياه بعضها بعلاج المرضى، مثال فقرات أنهيل الموجودة ببلدية تمنطيط والمعروفة بعذوبة مياهها وفعاليتها العلاجية لأمراض الكلى. ويقول سكان المنطقة إن تحليلات مخبرية أجريت على هذه المياه، أثبتت أنها تفوق جودة المياه المعدنية، ولهذا يقصدها الناس من كل مكان للتزود من مائها. (العرب، 2017) إذا مياه الفقرات طبيعية معدنية خالية من الشوائب والسموم التي تدخل في تصنيع المياه. (بن خالد، 2022) كما كانت تتخذ قديماً أنفاد الفقرات مكاناً للراحة صيفاً في ظل مناخ صحراوي قاسي وانعدام المكيفات الهوائية، بحيث لا تنتج عنها مضاعفات صحية كما هو الحال الآن مع المكيفات الاصطناعية.

خاتمة:

لازمت الفقارة الإنسان الواحي في رحلة بحثه عن الماء في الصحراء ومن ثم لازمته في تطوره وازدهاره وأبانت عن عبقريته وابتكاره، وشكلت مع النخيل والقصور أساس حضارة النظام الواحي في المنطقة. فكانت محل اهتمام المجتمع التواتي ومحور لحياته الاجتماعية والاقتصادية، ومصدر الهام لحياته الثقافية. تلك الأهمية ظهر أثرها قويا في الحياة العلمية والتشريعية لا إقليم توات لاسيما في كتب الفقه ودواوين الفتوى وسجلات القضاء. وتعد الفقارة محركا لقطاع السياحة في بعدها التراثي والاستشفائي في المنطقة إذا ما تم استغلالها جيدا فهي عامل مهم لتحقيق التنمية المستدامة.

ورغم تعاقب السنوات وتطور وسائل الري الحديثة لازالت الفقرات لها مكانتها في المجتمع التواتي شاخخة في سلاسل تعلو بعض قصور توات، تقوم بأدوارها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى البيئية على أكمل وجه.

في حين تراجع دورها في واحات أخرى لأنها اليوم تصارع من اجل البقاء رغم تزايد قيمتها التراثية وتعزيز حمايتها القانونية إلا أن قيمها الأخرى في تراجع مستمر بفعل متغيرات وعوامل بشرية أو طبيعية أفضت إلى موت واندثار الكثير منها.

لهذا وجب المحافظة على هذه المنظومة وإدراك قيمتها والتحسيس بأهميتها اقتصاديا وثقافيا وايكولوجيا والعمل على نقلها للأجيال على أساس هي موروث ثقافي وحضاري وتورث نظامها للأجيال القادمة.

قائمة المراجع

القرآن الكريم

- سورة الانسان. (الآية 06).
- سورة البقرة. (الآية 60).

الكتب:

- عبد الرحمان ابن خلدون. (1959). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (المجلد 06). بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- محمد الصالح حوتية. (2007). توات والأزواد. الجزائر: دار الكتاب العربي.

- محمد بن المبروك البداوي. (د ت). نقل الرواة عن من أبدع قصور توات. مخطوط بخزانة قصر كوسام.

المقالات

- احمد جعفري. (2010). الفقارة... نظام سقي الصحراوي العجيب. مجلة التراث (131)، 140 وما بعدها.
- عبد الرحمن محمد بعثمان. (2013). نظام السقي في الجنوب الغربي الجزائري: نظام الفقارة في منطقة توات نموذجاً. دورية كان التاريخية ، 06 (22)، 144-150.
- عبد الكريم دحمان، و تسورية قصاب. البعد غير المادي في تراث المياه بالجزائر: نظام الفقارة بالجنوب الجزائري، خمسون سنة بعد الاستقلال . les cahiers du cread (115).
- محمد ساقني. (2017). ، الفقارة تراث أثريٌ مندثر بقصور عين صالح بالتيديكلت. مجلة آفاق علمية ، 9 (2).
- موسى اسماعيل شماخي. (2018). دراسة مونوغرافية للفقارة في المجتمع التيميموني. مجلة دراسات وأبحاث ، 10 (04)، 947-955.
- ناصر بالحاج. (2011). الماء في حواضر الصحراء: ادواره والتحكم فيه(وادي مزاب خلال العهد الحديث نموذجاً). مجلة الواحات للبحوث والدراسات (15)، 34 - 29.

الاطروحات والمذكرات

- سمية ملاس، و زينب توتاو. (2018). دور القطاع السياحي في تحقيق التنمية المحلية في ولاية أدرار، مذكرة ماستر. جامعة ادرار، كلية العلوم الاقتصادية والتسيير وعلوم التجارية،.
- عربية موساوي. الفقارة بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع: دراسة تاريخية أثرية، دكتوراه في الآثار الإسلامية. الجزائر.

المعاجم

- ابن منظور. (د ت). لسان العرب. بيروت: دار بيروت.

المداخلات

- ماجد بربريس، و خالد حرسوس. (2019-23،-04). القصور الصحراوية في الجنوب الجزائري بين متطلبات المحافظة وإشكالية النمو العمراني. مقدمة من المؤتمر الدولي الرابع للتراث الثقافي المعماري: "تأهيل المواقع والمباني الأثرية في ضوء المتطلبات المعاصرة". غزة : الجامعة الإسلامية .

مواقع الانترنت

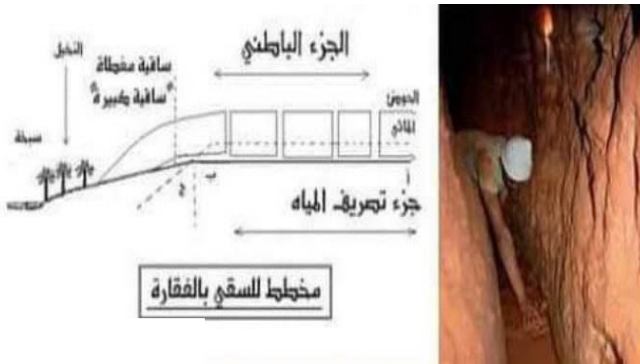
- أحمد بوسعيد. (17 أكتوبر , 2022). الفقارة "قِوَامُ الحياة في الواحات". تاريخ الاسترداد 4 ديسمبر , 2022، من <https://www.univ-adrar.edu.dz/18596>
- صحيفة العرب. (18 أكتوبر, 2017). الفقارة نظام تقليدي للري في الصحراء الجزائرية. تم الاسترداد من <https://www.vitamedz.com/ar/%D8%A7-50794-1>
- عبد الكريم بن خالد. (1 مارس, 2022). مداخلة كياتيين الماء بالجنوب الجزائري الجزء الثاني، مقدم لبرنامج كنوز الصحراء . تاريخ الاسترداد 15 ديسمبر , 2022 ، من الإذاعة الثقافية الجزائرية: <https://radioalgerie.dz/culture/fr/node/3401>
- Le Parc National Culturel de Touat-Gourara-Tidikelt. (2013). site officiel du projet des parcs culturels Algériens، 2022، تاريخ الاسترداد 15 ديسمبر , 2022، من <http://cnra.dz/atlas/parc-national-culturel-de-touat-gourara-tidikelt/> McHill2015

الصورة رقم (03) توزيع المياه بالقصرية

الصورة رقم (01) سلسلة أبار الفقارة



الصورة رقم (02) مخطط السقي بالفقارة



الصورة رقم(06) أداة كيل الماء(الشقة،الحلافة)



الصورة رقم(04) نماذج من الأهاليج المرتبطة بأعمال الفقارة(التوزية)



الصورة رقم(05) من الحرف المصنوعة من ليف النخيل



لخرارة